تَـشْـبِـيـهُ جُـودِكَ بـالأمْـطَـارِ غَـادِيَـةً
جُـودٌ لِـكَـفِّـكَ ثَـانٍ نَـالَـهُ الْـمَـطَـرُ(١)
تَـكَـسَّـبُ الـشَّـمْـسُ مِـنْـكَ الـنُّـورَ طـالِـعَـةً
كَـمَـا تَـكَـسَّـبَ مِـنْـهَـا نُـورَهُ الْـقَـمَـرُ(٢)

الموت اضطرار

يصف إيقاعه بهذه القبائل وكان أبو الطيب لم يحضر الواقعة فشرحها له سيف الدولة:

[الوافر]

طِـوَالُ قَـنـاً تُـطَـاعِـنُـهَـا قِـصَـارُ
وَقَـطْـرُكَ فـي نَـدًى وَوَغًـى بِـحَـارُ(٣)
وَفِـيـكَ إِذَا جَـنَـى الـجَـانِـي أَنَـاةٌ
تُـظَـنُّ كَـرَامَـةً وَهِـيَ احْـتِـقَـارُ(٤)

= أعداء الأمير، وهم كثر، لذا لا بدّ من استبدال الروم بغيرهم، وفي حال كثروا بالتوالد وانتهى من أعدائه فيعود ليفنيهم من جديد.

(١) يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بكرمه، فكفّه مطر ينهمر كما ينهمر الماء غزيراً، وبذلك يعتزّ المطر بتشبيهه بجود الأمير.

(٢) تكسب: تستمدّ. ولوضاءة الممدوح فإن الشمس تستمدّ ضياءها ونورها في حال إشراقها تماماً كما يكتسب منها القمر ضياءه، فإذا ظهر الممدوح اشرأبّت لتكتسب وإلّا فالظلمة تكتنف سائر الكون.

(٣) القنا: الرماح. الندى: الكرم. الوغى: الحرب. يُخاطب الشاعر ممدوحه، منوّهاً بشجاعته، إنها لا تُؤثر الرماح الطويلة بها فتتقاصر أمام شجاعته ويضعف حاملوها، وبكرمه العظيم، فمهما قلّ رفده فإنه بحر زاخر.

(٤) جنى عليه: أن يدّعي عليه ذنباً لم يفعله، اجترم جناية. الأناة: الصبر مع الحلم. يصف الشاعر ممدوحه بالعفو عند المقدرة والحلم والصبر على من اجترم فعلاً سيّئاً بحق الممدوح، ولجهل ذاك يعتقد أن الممدوح يُكرمه لضعف فيه، والحق أنه احتقار من الممدوح لشأنه، والأمر لا يتعلّق بكرامته.

وَأَخْـذٌ لِـلْـحَـوَاضِـرِ والْـبَـوَادِي
بِـضَـبْـطٍ لَـمْ تُـعَـوَّدْهُ نِـزَارُ[١]
تَـشَـمَّـمُـهُ شَـمِـيـمَ الْـوَحْـشِ إنْـسـاً
وَتُـنـكِـرُهُ فَـيَـعْـرُوهَـا نِـفَـارُ[٢]
وَمَـا انْـقَـادَتْ لِـغَـيْـرِكَ فـي زَمَـانٍ
فَـتَـدْرِي مَـا الْـمَـقَـادَةُ وَالـصَّـغَـارُ[٣]
فَـقَـرَّحَـتِ الـمَـقَـاوِدُ ذِفْـرَيَـيْـهَـا
وَصَـعَّـرَ خَـدَّهَـا هٰـذَا الـعِـذَارُ[٤]
وأَطْـمَـعَ عَـامِـرَ الْـبُـقْـيَـا عَـلَـيْـهَـا
وَنَـزَّقَـهَـا احْـتِـمَـالُـكَ وَالْـوَقَـارُ[٥]

---

(١) و (٢) الحواضر، الواحدة حاضرة: المدن. البوادي: الصحاري. ويقصد بنزار العرب. إنها سياسة الحزم، وتلك سياسة لم يعهدها العرب في بواديهم وحواضرهم، إنهم كانوا يعيشون ضمن نظام قبليّ، عماده حرّية التصرّف المعتمدة على القوّة. لذا فالطاعة بمفهومها الضيّق لم يعتادوا على الخضوع التامّ لنظام الدولة بمفهومها السياسي، لذلك سرعان ما ينفرون من الانقياد الأعمى إلى ما يسمّى بالنظام السياسي المعروف لدى الدول، وتتمثل فيهم عادة التوحّش إذا أحسّوا بشيء يُخالف طباعهم المعهودة لديهم.

(٣) المقادة: الانصياع، الانقياد. الصغار: الذل، الانكسار. إنها العادة المتأصّلة في نفوس العرب، فهم لم يعرفوا الانصياع لأحد مهما تكن طبيعته ولم يذلوا، وإنما هم ينسجمون مع ما ألفوه من حرّية واسعة وسع صحرائهم.

(٤) قرّحت: جرّحت. المقاود، الواحد مقود: الرسن. الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن. الصعر: ميل في الخدّ، كناية عن التكبّر. العذار: ما وقع على خدّي الفرس من اللجام. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه أخذ العرب بشدّة فانقادوا إليه رغماً عنهم، وهذا ما جعلهم يُحسّون بفداحة الأمر، فمالوا إلى التأفّف وقد أحسّوا بالإهانة لشدّة تنفيذ سياسة الأمير، فتألّبوا عليه، وتململوا من حزمه.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٢. النزق: الطيش والخفة. ولقد شجّع بني عامر على التمرّد والعصيان تغاضي الأمير وحلمه عن تجاوزاتهم، فتمادَوْا في عصيانهم، وساعدهم على ذلك طيشهم ونزقهم المغروز في طبائعهم.

وَغَـيَّـرَهَـا الـتَّـرَاسُـلُ وَالـتَّـشَـاكِـي
وَأَعْـجَـبَـهَـا الـتَّـلَـبُّـبُ وَالْـمُـغَـارُ[١]

جِـيَـادٌ تَـعْـجِـزُ الأَرْسَـانُ عَـنْـهَـا
وَفُـرْسَـانٌ تَـضِـيـقُ بِـهَـا الـدِّيَـارُ[٢]

وَكَـانَـتْ بِـالـتَّـوَقُّـفِ عَـنْ رَدَاهَـا
نُـفُـوسـاً فِـي رَدَاهَـا تُـسْـتَـشَـارُ[٣]

وَكُـنْـتَ الـسَّـيْـفَ قَـائِـمُـهُ إِلَـيْـهِـمْ
وَفِـي الأَعْـدَاءِ حَـدُّكَ وَالْـغِـرَارُ[٤]

فَـأَمْـسَـتْ بِـالْـبَـدِيَّـةِ شَـفْـرَتَـاهُ
وَأَمْـسَـى خَـلْـفَ قَـائِـمِـهِ الْـحِـيَـارُ[٥]

وَكَـانَ بَـنُـو كِـلَابٍ حَـيْـثُ كَـعْـبٌ
فَـخَـافُـوا أَنْ يَـصِـيـرُوا حَـيْـثُ صَـارُوا[٦]

تَـلَـقَّـوْا عِـزَّ مَـوْلَاهُـمْ بِـذُلٍّ
وَسَـارَ إِلَـى بَـنِـي كَـعْـبٍ وَسَـارُوا[٧]

---

(١) و (٢) التلبّب: الاستعداد للحرب والتشمّر لها. لقد اجتمع القوم على أمر عظيم، فقد غرّهم اتّحادهم وممارستهم القتال، فكان التراسل بينهم واستعدادهم للقتال، إنهم فرسان كثيرون يَغطّون الأرض لكثرتهم، وقد روّضوا جياداً نفورة تمتاز بالقوّة والشدّة، وهذا ما شدّ في عزيمتهم وقوّى بأنفسهم ثقتهم.

(٣) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٢. الردى: الموت، الهلكة. موقفان متناقضان: موقف الممدوح الحليم الذي يتغاضى عن سيّئات القوم، وموقف هؤلاء بعنادهم وكأنهم يُثيرون الأمير على الفتك بهم، وكأن الموت يدعوهم إلى العصيان، فكانت إرادتان تؤذنان بسحقهم.

(٤) و (٥) قائم السيف: مقبضه. غراره: حدّه. البدية والحِيار: ماءان حيث كانوا ينزلون. شفرتا السيف: حدّاه. يُخاطب الشاعر الأمير بأنه كان سيفاً يُقاتل أعداءهم دونهم يستعينون به في أزماتهم، ولما انقلبوا عليه سار إليهم يبطش بهم في منازلهم في الباديّة واستمرّ يُلاحقهم حتى تخطّى الحِيار فخلّفه وراءه وهو يطاردهم بسيفه فيحصد فيهم قتلاً وسفك دماء.

(٦) و (٧) يذكر الشاعر موقف بني كلاب، وقد شاهدوا ما حلّ بإخوانهم بني كعب، =

فَـأَقْـبَـلَـهَـا الـمُـرُوجَ مُـسَـوَّمَـاتٍ
ضَـوَامِـرَ لا هُـزَالَ وَلَا شِـيَـارُ[١]
تَـثِـيـرُ عَـلَـى سَـلَـمْـيَـةَ مُـسْـبَـطِـرًّا
تَـنَـاكَـرُ تَـحْـتَـهُ لَـوْلَا الـشِّـعَـارُ[٢]
عَـجَـاجـاً تَـعْـثُـرُ الـعِـقْـبَـانُ فِـيـهِ
كَـأَنَّ الْـجَـوَّ وَعْـثٌ أَوْ خَـبَـارُ[٣]
وَظَـلَّ الـطَّـعْـنُ فـي الْـخَـيْـلَـيـنِ خَـلْـسـاً
كَـأَنَّ الـمَـوْتَ بَـيْـنَـهُـمَـا اخْـتِـصَـارُ[٤]

= فاتّعظوا بما رأَوْا وداخلهم رعب وخافوا أن يحلّ بهم ما نزل بغيرهم لذا سارعوا إلى لقاء الأمير المنتصر والذلّة والمسكنة تسوقهم لمساعدة الأمير على إخوانهم بني كعب، فكانوا معه عليهم.

(١) و (٢) المروج: إنها مروج سلمية حيث ترعى الدواب، وسلمية: موضع بين الفرات وحلب حيث كانوا ينزلون. المسوّمات: المعلمات بسمات تُعرف بها. الضوامر من الخيل: الخفيفة اللحم، الهزيلة لكثرة مشاركتها في الحروب. الشيار: السمان الحسنة المنظر. المسبطر: الغبار المنتشر. الشعار: العلامة في الحرب. يصف الشاعر نزول الأمير في مروج سلمية، وقد جعل الخيول ترتعي وتأخذ قسطاً من الراحة، وهي تمتاز بأنها ليست نحيلة كما أنها ليست سمينة حسنة المنظر، ولها علامات تمتاز بها عن سائر الخيل، ذلك أنها كثيرة المشاركة في حروب الأمير، ولكثرة انتشارها في ميدان المعركة فإن الغبار يعلوها بحيث لا يعرف جند الأمير بعضهم بعضاً إلّا بعلامات قد اتّفقوا عليها، وإلّا لاشتبكوا في ما بينهم.

(٣) العجاج: الغبار. الوعث من الأرض: اللين الكثير الرمل. الخبار من الأرض: اللين الرخو. ولثقة العقبان بنصر الأمير، فإنها تُصاحب جيشه لتقمّ جيف القتلى، وفي هذا الجوّ الذي غطّته موجات من الغبار تتعالى فإذا بالعقبان تتعثّر حتى كأن جوّ المعركة أرض وعثاء رخوة ليّنة تغوص فيها العقبان.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٢. الخلس: سرعة اختطاف الأشياء بسرعة. يصف الشاعر عنف القتال، فالطعن يختطف النفوس بسرعة، فإذا بالموت يبدو أقصر الطرق يفتك بالنفوس ويُودي بها إلى هلاك محتم.

فَـلَـزَّهُـمُ الـطِّـرَادُ إلـى قِـتَـالٍ
أَحَـدُّ سِـلَاحِـهِـمْ فـيـهِ الـفِـرَارُ[١]
مَـضَـوْا مُـتَـسَـابِـقِـي الأعْـضَـاءِ فـيـهِ
لِأَرْؤُسِـهِـم بِـأَرْجُـلِـهِـمْ عِـثَـارُ[٢]
يَـشُـلُّـهُـمُ بِـكُـلِّ أَقَـبَّ نَـهْـدٍ
لِـفَـارِسِـهِ عَـلَـى الْـخَـيْـلِ الْـخِـيَـارُ[٣]
وكُـلِّ أَصَـمَّ يَـعْـسِـلُ جَـانِـبَـاهُ
عَـلَـى الْـكَـعْـبَـيـنِ مِـنْـهُ دَمٌ مُـمَـارُ[٤]
يُـغَـادِرُ كُـلَّ مُـلْـتَـفِـتٍ إلَـيْـهِ
وَلَـبَّـتُـهُ لِـثَـعْـلَـبِـهِ وِجَـارُ[٥]

---

(١) لزّه: أجبره وألجأه، ولعنف القتال وشدّة فتكه بالمقاتلين، وحفاظاً على الحياة كان لا بدّ للنفوس اللجوء إلى أسهل سبل النجاة الفرار، فالمعركة غير متكافئة.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٢. يُصوّر الشاعر حالة الإرباك التي كان عليها الفارّون من المعركة مخافة الموت، فإذا بأرجلهم تعثر برؤوس بعضهم وقد وقعوا أرضاً لشدّة الهلع التي سيطرت عليهم، كما أن بعضهم الآخر تعثر، فإذا برؤوسهم تختلط بأرجل بعضهم الآخر.

(٣) يشلّهم: يطردهم. الأقب من الخيول: الضامر. النهد: الضخم العالي. يُصوّر الشاعر حالة المطاردة في وسط المعركة، فيندفع فرسان الأمير على جيادهم الضامرة النهدة، وكأنهم يلهون، فإن شاء بعضهم سبقوا الفارّين ليلقّفوهم بصدورهم وإن شاء بعضهم الآخر أخذوهم من خلفهم.

(٤) و (٥) الأصمّ من الرماح: الصلب القويّ. يعسل: يهتزّ. ممار: مهراق. ويُكمل الشاعر صورة الموت المريع، فالفرسان يغرسون رماحهم الغاضبة المضطربة في ضحاياهم، فتعود وقد غطتها الدماء من جانبيها الأعلى والأسفل؛ وينتزعها بعنف لا رحمة فيه من أعلى صدر ضحيّته، فإذا بسنان الرمح يشخب دماً وقد دخل ثعلبه في نحرها.

إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضَّوْءَ عَنْهُمْ
دَجَا لَيْلَانِ لَيْلٌ وَالْغُبَارُ[١]
وَإِنْ جُنْحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ
أَضَاءَ الْمَشْرَفِيَّةُ والنَّهَارُ[٢]
ويَبكِي خَلْفَهُمْ دَثْرٌ بُكَاهُ
رُغَاءٌ أَوْ ثُؤَاجٌ أَوْ يُعَارُ[٣]
غَطَا بِالْعِثْيَرِ الْبَيْدَاءَ حَتَّى
تَحَيَّرَتِ الْمَتَالِي وَالعِشَارُ[٤]
وَمَرُّوا بِالْجَبَاةِ يَضُمُّ فِيهَا
كِلَا الْجَيْشَيْنِ مِنْ نَقْعٍ إِزَارُ[٥]

(١) و (٢) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٢. دجا: أظلم. جنح الليل: جانبه. انجاب: جلا. المشرفية: السيوف. يرسم الشاعر صورة الظلمة التي سيطرت على ضحايا المعركة؛ إنه الليل وعتمته يتبعه ليل آخر من غبار يُغطّي ساحة المعركة، وإذا انجلت الظلمة أشرق النهار بسيوف تعلو الرؤوس تُؤذن بموت محقّق.

(٣) و (٤) الدثر: المال الجمّ. الرّغاء: صوت الإبل. الثؤاج: صوت الغنم. اليعار: صوت المعز. العثير: الغبار. المتالي، الواحدة متلية: الناقة يتبعها ولدها. العشار، الواحدة عشراء: الناقة على وشك أن تلد. المتالي والعشار: أحبّ أموال البدو إلى نفوسهم. المال يُعادل الحياة. لذا رغم ما نزل بالقوم من هلاك وجراحات، فمن سلم منهم حاول تخليص ما أمكنه من الأموال، وأموال القوم عمادها النعم بأنواعها الثلاثة، ومنها لديهم الكثير، الإبل يتصاعد رغاؤها، والأغنام يشارك ثغاؤها في سمفونية الخوف، والمغر بيعارها، ولكثرة الجلبة وقوة الاندفاع في الهرب يَرتفع الغبار فيغطّي الموكب بسحابة كئيبة في بيداء مترامية الأطراف، وفي آخر موكب الهروب المتالي من النياق وإلى جانبها صغارها، والعشار بدورها أنهكها إسراعها وما في بطونها من أجنّة.

(٥) الجباة: اسم. النقع: الغبار. مطاردة عجيبة، إنها مطاردة الحياة ممثّلة بالأعراب وما معهم من الأموال ومطاردة الموت ممثلة بجيش الأمير، الأعراب يفرّون من مواجهة غير عادلة؛ فإذا بهم يمرّون بماء الجباة أثناء مسير الخوف، فكانت المفاجأة أن جيش =

وَجَـاؤُوا الـصَّـحْـصَـحَـانَ بِـلَا سُـرُوجٍ
وَقَـدْ سَـقَـطَ الْـعِـمَـامَـةُ وَٱلْـخِـمَـارُ[١]
وَأُرْهِـقَـتِ ٱلْـعَـذَارَى مُـرْدَفَـاتٍ
وَأُوطِـئَـتِ الأُصَـيْـبِـيَـةُ الـصِّـغَـارُ[٢]
وَقَـدْ نُـزِحَ ٱلْـغُـوَيْـرُ فَـلَا غُـوَيْـرٌ
وَنِـهْـيَـا وَٱلْـبُـيَـيْـضَـةُ وَٱلْـجِـفَـارُ[٣]
وَلَـيْـسَ بِـغَـيْـرِ تَـدْمُـرَ مُـسْـتَـغَـاثٌ،
وَتَـدْمُـرُ كَـاسْـمِـهَـا لَـهُـمُ دَمَـارُ[٤]
أَرَادُوا أَنْ يُـدِيـرُوا الـرَّأْيَ فِـيـهَـا
فَـصَـبَّـحَـهُـمْ بِـرَأْيٍ لا يُـدَارُ[٥]

= الأمير كان لهم بالمرصاد هناك، فإذا بالغبار يعلو إلى عنان السماء ليغطي جحيم المعركة بمن فيها وما فيها.

(١) و (٢) الصحصحان: اسم موضع بعينه. أرهقت العذارى: أجبرت الأبكار على تحمل مشقة لا تطيقها. مردفات: ركبت خلف الرجال على الخيول. أوطئت: ديست. أخيراً وصل القوم إلى الصحصحان في حالة يُرثى لها، فالرجال امتطوا جياداً لا سروج لها، وقد أردفوا خلفهم نساءهم وعذاراهم، وقد سقطت عمائم الرجال وانكشفت رؤوس النساء، فبدون بلا خمرهن، لإسراعهم في الهرب، وحتى الصغار من الأطفال داستها الخيل بلا رحمة ومراعاة لما تمثله الطفولة من براءة، ولم تجن أيديهم ما جنته أيدي آبائهم.

(٣) نزح: استنفد. الغُوير ونهيا والبييضة والجفار: أسماء مياه وردها الفارّون لشدّة ما لحقهم من العطش. يصف الشاعر حال المطاردين وما لحقهم من سوء الحال، حتى إنهم اشتدّ بهم العطش وبما لديهم من نعم، وحالما وردوا تلك الآبار استهلكوا ما فيها من مياه.

(٤) و (٥) تدمر: مدينة تاريخيَّة دمّرها الرومان، وبقيت منها آثار دالة على عظمتها التاريخية، يُكمل الشاعر مأساة الفارّين من بطش سيف الدولة، فقد ظنّوا أنّ تلك المدينة مانعتهم من سوء المصير، وفجأة أحاط بهم جند الأمير فكانت قاصمة دهرهم في تدمر وكانت شؤماً عليهم كاسمها. ولقد أراد القوم أن يتبادلوا الرأي بما سيفعلون، فكانت المفاجأة مع الفجر إذ أحاط بهم الأمير بالرأي الذي لا يُناقش ولا سبيل لردّه؛ إنه قرار إبادتهم.

وَجَيْشٍ كُلَّمَا حَارُوا بِأَرْضٍ
وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ[١]
يَحُفُّ أَغَرَّ لَا قَوَدٌ عَلَيْهِ
وَلَا دِيَةٌ تُسَاقُ وَلَا ٱعْتِذَارُ[٢]
تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الأَعَادِي
وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ[٣]
فَكَانُوا ٱلْأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ
عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ[٤]
إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ
بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ ٱلْقِفَارُ[٥]
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قُدَّاماً وَخَلْفاً
فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتُ ٱضْطِرَارُ[٦]

---

(١) و (٢) إنها رحلة الفرار، ورغم كثرة عدد تلك القبيلة وما معها من أموال، فكلّما نزلوا بأرض تبدو لهم مترامية الأطراف واسعة، فيزيد إحساسهم بالتشرّد وينمو خوفهم بقدر اتساع تلك الفلاة، وفي وسط ذلك كانت المفاجأة جيش ضاقت الأرض به وما رحبت، فإذا بتلك الأرض تحار بذلك الجيش لكثرة عدده وعُدده، وعلى رأسه قائد يحيط به جنده، إنه سيد شريف لا يُسأل عمَّا يفعل، يقتل كما يحلو له؛ فلا قود عليه ولا دية لأعدائه، ولا يعتذر عمّا بدر منه لأنه ملك قادر.

(٣) تريق: تهرق. مُهج: أرواح. الجبار: القتل الذي لا دية فيه. سيوف جيش الأمير تزهق حياة أعاديه، وتريق دماءهم التي لا دية فيها لأنها مباحة له، فلا قود عليها.

(٤) المصال: القوّة. المطار: الطيران. شبّه الشاعر الأعراب بالأسود الضارية التي تخلّت عنها قوتها لأنها في مواجهة طيور كاسرة اتخذت السماء لها مجالاً وهذا المجال لا تدركه الأسود، ممَّا يجعل قوتها باطلة لا فائدة منها، لعدم قدرتها على الطيران.

(٥) و (٦) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٢. إنها رحلة الموت المحتّم، لا مفرّ منه، فإذا استطاع القوم الفرار من رماح جيش سيف الدولة واجهوا موتاً آخر، فالصحراء لا ماء فيها، فالعطش مهلكهم. لذا لا فكاك من براثن الموت لأنه محيط بهم من كلّ مكان قدّاماً وخلفاً؛ إنه الاختيار الصعب.

إِذَا سَـلَـكَ الـسَّـمَـاوَةَ غَـيْـرُ هَـادٍ
فَـقَـتْـلَاهُـمْ لِـعَـيْـنَـيْـهِ مَـنَـارُ[١]
وَلَـوْ لَـمْ يُـبْـقِ لَـمْ تَـعِـشِ ٱلْـبَـقَـايَـا
وَفِـي الـمَـاضِـي لِـمَـنْ بَـقِـيَ ٱعْـتِـبَـارُ[٢]
إِذَا لَـمْ يُـرْعِ سَـيِّـدُهُـم عَـلَـيْـهِـمْ
فَـمَـنْ يُـرْعِـي عَـلَـيْـهِـمْ أَوْ يَـغَـارُ[٣]
تُـفَـرِّقُـهُـمْ وَإِيَّـاهُ الـسَّـجَـايَـا
وَيَـجْـمَـعُـهُـمْ وَإِيَّـاهُ الـنِّـجَـارُ[٤]
وَمَـالَ بِـهَـا عَـلَـى أَرَكٍ وَعُـرْضٍ
وَأَهْـلُ الـرَّقَّـتَـيْـنِ لَـهَـا مَـزَارُ[٥]
وَأَجْـفَـلَ بِـٱلْـفُـرَاتِ بَـنُـو نُـمَـيْـرٍ
وَزَأْرُهُـمُ الَّـذِي زَأَرُوا خُـوَارُ[٦]

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٢. المنار: علامات الطريق ويتصوّر المرء مدى ما حلّ من موت بتلك القبيلة التي انتشرت جثث قتلاها في بادية السماوة أن بإمكان من يجهل مسالك تلك الصحراء ولم يجد علامات دالة على سلوك تلك البادية أمكنه ذلك بسهولة لانتشار القتلى في أرجائها.

(٢) و (٣) يروى «تبق» بدلاً من «يُبق». يُنوّه الشاعر مشيداً بما فعله سيف الدولة من إبقاء من بقي على قيد الحياة، ولم يفنهم جميعاً أن في ذلك درساً رادعاً لهم ليتعظوا بما حلّ بأقربائهم، ولا بدّ لهم من راعٍ يرعى شؤونهم ويغار على مصالحهم ويُقيل عثرتهم.

(٤) السجايا: الأخلاق والطباع. النجار: الأصل. ومن أسباب إبقاء سيف الدولة للقوم أنهم ينتمون إلى نزار من مضر، فثمّة قرابة بينهم وبين سيف الدولة، ولكن طباع كلّ منهما مختلفة، ففي أولئك لؤم وفي سيف الدولة حلم ورحمة.

(٥) أرك وعرض بلدتان قريبتان من تدمر. الرقتان: بلدتان تقعان على الفرات وهما الرقة والرافقة، وقيل لهما ذلك على التغليب. جعلت رحلة المطاردة سيف الدولة يميل على أرك وعُرْض وهما يبعدانه عن مقصده، فوجهته إلى الرقتين، فحيثما اعتقد بأن بني كعب يفرّون قصدهم فيه.

(٦) أجفل: خاف وفرّ. الزأر: صوت الأسد. الخوار: صوت البقر. حتى بنو نُمير =

فَـهُـمْ حِـزَقٌ عَـلَـى ٱلْـخَـابُـورِ صَـرْعَـى
بِـهِـمْ مِـنْ شُـرْبِ غَـيْـرِهِـمِ خُـمَـارُ[١]
فَـلَـمْ يَـسْـرَحْ لَـهُـمْ فـي الـصُّـبْـحِ مَـالٌ
وَلَـمْ تُـوقَـدْ لَـهُـمْ بـٱلـلَّـيْـلِ نَـارُ[٢]
حِـذَارَ فَـتًـى إِذَا لَـمْ يَـرْضَ عَـنْـهُـمْ
فَـلَـيْـسَ بِـنَـافِـعٍ لَـهُـمُ الْـحِـذَارُ[٣]
تَـبِـيـتُ وُفُـودُهُـمْ تَـسْـرِي إِلَـيْـهِ
وَجَـدْوَاهُ الـتـي سَـأَلُـوا ٱغْـتِـفَـارُ[٤]
فَـخَـلَّـفَـهُـمْ بِـرَدِّ ٱلـبِـيـضِ عَـنْـهُـمْ
وَهَـامُـهُـمُ لَـهُ مَـعَـهُـمْ مُـعَـارُ[٥]
وَهُـمْ مِـمَّـنْ أَذَمَّ لَـهُـمْ عَـلَـيْـهِ
كَـرِيـمُ الْـعِـرْقِ وَٱلْـحَـسَـبُ الـنُّـضَـارُ[٦]

= داخلهم الرعب، وكانوا يظنون بأنفسهم الشجاعة والقوّة، كأنهم أسود، سرعان ما ولّوْا هاربين، واستبدلوا الزئير بخوار البقر.

(١) و(٢) الحزق، الواحدة حزقة: الجماعات. الخابور: من أنهار الفرات. الخمار: بقية السكر. ما حلّ بهؤلاء من سوء الحال حتى بدت عليهم حالة الإعياء كأن بهم بقية سكر، وقد تشتتوا جماعات ظنّهم أنهم مقصودون من قبل سيف وقد مرّ على نهر الخابور، فخافوا وبال أمرهم، فكان ما كان منهم. ولحذرهم الشديد تكتّموا على أنفسهم، فلم يُسرّحوا نعمهم نهاراً، ولم توقد لهم نيران في الليل مخافة اكتشاف أمرهم.

(٣) و (٤) ما قام به هؤلاء ناتج عن حذر بطش فتًى ماجد كريم حليم، فلو قصدهم ما كان ينفعهم الحذر والحيطة لأنه قادر على الفتك بهم، ولكنه لم يفعل لأنهم لم يُذنبوا، وتفادياً للوقوع في المحذور راح القومُ يرسلون إليه الرسل والوفود يطلبون المغفرة لذنب لم يقترفوه.

(٥) و (٦) خلفهم: استبقى عليهم. البيض: السيوف. الهام: الرؤوس. لقد كان ردّ الأمير عليهم ردّ الكريم، فاستبقى عليهم، فردّ عنهم سيوفه، فسلمت أرواحهم وبقيت رؤوسهم بين أكتافهم؛ إنها عارية لديهم لو أراد استردادها لفعل، وزيادة في تكريمهم =

فَـأَصْـبَـحَ بِـالْـعَـوَاصِـمِ مُـسْـتَـقِـرًّا
وَلَـيْـسَ لِـبَـحْـرِ نَـائِـلِـهِ قَـرَارُ[١]
وَأَضْـحَـى ذِكْـرُهُ فِـي كُـلِّ أَرْضٍ
تُـدَارُ عَـلَـى ٱلْـغِـنَـاءِ بِـهِ الـعُـقَـارُ[٢]
تَـخِـرُّ لَـهُ الْـقَـبَـائِـلُ سَـاجِـدَاتٍ
وَتَـحْـمَـدُهُ ٱلأَسِـنَّـةُ والـشِّـفَـارُ[٣]
كَـأَنَّ شُـعَـاعَ عَـيْـنِ الـشَّـمْـسِ فِـيـهِ
فَـفِـي أَبْـصَـارِنَـا مِـنْـهُ ٱنْـكِـسَـارُ[٤]
فَـمَـنْ طَـلَـبَ الـطِّـعَـانَ فَـذَا عَـلِـيٌّ
وَخَـيْـلُ الـلَّـهِ والأَسَـلُ الْـحِـرَارُ[٥]
يَـرَاهُ الـنَّـاسُ حَـيْـثُ رَأَتْـهُ كَـعْـبٌ
بِـأَرْضٍ مَـا لِـنَـازِلِـهَـا ٱسْـتِـتَـارُ[٦]

= جعلهم مخفورين في ذمّته، وبذلك برهن الأمير على نبل أصله وحسبه الكريم الذي لا تشوبه شائبة.

(١) العواصم: بلاد حاضرتها إنطاكية. النائل: العطاء. إنها عودة المنتصر إلى دياره في العواصم، حيث مستقرّه وموطنه، بينما كرمه العظيم لا قرار له تماماً كالبحر الزاخر لا يهدأ.

(٢) العقار: الخمرة. لقد طار ذكر الأمير شعراً يُشيد بفعاله الحربية والأخلاقية، فحلقات الشرب والسّامرون يستمعون إلى المغنين يترنمون بفضائله.

(٣) الأسنة: الرماح. الشفار، الواحدة شفرة: حد السيف. لقد خضعت قبائل العرب للأمير واستسلموا طواعية أو كراهية لسلطانه حتى بلغ بهم الأمر إلى السجود في حضرته، وحتى الرماح والسيوف شكرت له حسن فعاله، فقد استخدمها لما صنعت من أجله في القضاء على عناصر الشغب عليه.

(٤) يعبّر الشاعر عن مهابة الأمير وأثر ذلك في نفوس حاشيته، وهم من النخبة في عصره؛ إنهم لا يرفعون إليه أبصارهم لإجلالهم له وتعظيمه فتخشع أبصارهم تماماً كما أنهم لا يُديمون النظر إلى أشعة الشمس ووهجها وموقفهم من الشمس تجنبهم لإزعاجها خلاف موقفهم من الأمير سببه الحبّ والاحترام لشخصه.

(٥) و (٦) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٢ـ ١٠٣. الأسل: =

يُوَسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ
طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الانْتِظَارُ[١]
تَصَاهَلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ
وَمَا مِنْ عَادَةِ الْخَيْلِ السِّرَارُ[٢]
بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرْتَ فِيهِمْ
يَدٌ لَمْ يُدْمِهَا إِلَّا السِّوَارُ[٣]
بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ
وَفِيهَا مِنْ جَلَالَتِهِ افْتِخَارُ[٤]
لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ فِي نِزَارٍ
وَأَدْنَى الشِّرْكِ فِي أَصْلٍ جِوَارُ[٥]
لَعَلَّ بَنِيهِمِ لِبَنِيكَ جُنْدٌ
فَأَوَّلُ قُرَّحِ الْخَيْلِ الْمِهَارُ[٦]

= الرماح. الحرار: العطاش. يُشيد الشاعر بشجاعة علي. وهو سيف الدولة، فمن أراد النزال فليقابل الأمير ومعه جيشه العظيم، وخيل يرعاها اللَّه تعالى بحمايته، ويُقاتل فرسانها لرفع كلمة اللَّه سبحانه وتعالى، وسلاحهم عطش لدماء الأعداء، يتلهّب ليرتوي من دمائهم. ومن طبيعة الجيش وقائده أنهم يسعوْن للحاق أعدائهم حيثما كانوا، فقد فاجأ قبيلة بني كعب في صحرائهم جهاراً.

(١) و (٢) المفاوز: المهالك الضيقة الواقعة بين جبلين. عادة الأمير أنه طالب لأعدائه حيثما كانوا في كل وقت، وهو لا ينتظر مجيئهم إليه بل إنه يُلاحقهم ولا يتوانى لأخذه الأمور بحزم فيُبادر إلى قطع دابر الفتن في مهدها ولا يعمد إلى المناورة وإخفاء خطّ سير جيشه، فصهيل خيله يتردّد في الآفاق معلناً عن قدومه جهاراً؛ وذلك ثقة بقوّته وشدّة شكيمته وثقته بالنصر.

(٣) و (٤) وردت الأبيات الأربعة التالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٣. السوار: حلية تلبسها النساء في معاصمهن. يُخاطب الشاعر الأمير بأنه نكّل ببني كعب وأذلّهم وقد تأذّوا بما أصابهم على يدي الأمير وتألّموا، كما يُصيب يد امرأة من جراء تحلّيها بسوار ضيّق عليها، ومع ذلك فبنو كعب يفخرون بأن من أدّبهم بطل لا يُقهر ولا يُهزم، ولم يكن من عامة الناس.

(٥) و (٦) يُحاول الشاعر تهدئة خاطر الأمير منوّهاً بانتسابه إلى نزار جدّ بني كعب الأعلى، =

وَأَنْـــتَ أَبَـــرُّ مَـــنْ لَـــوْ عُـــقَّ أَفْـــنَـــى
وَأَعْـفَـى مَـنْ عُـقُـوبَـتُـهُ الْـبَـوَارُ[١]
وَأَقْـدَرُ مَـنْ يُـهَـيِّـجُـهُ ٱنْـتِـصَـارٌ
وَأَحْـلَـمُ مَـنْ يُـحَـلِّـمُـهُ ٱقْـتِـدَارُ[٢]
وَمَـا فِـي سَـطْـوَةِ الأَرْبَـابِ عَـيْـبٌ
وَلَا فِـي ذِلَّـةِ الْـعُـبْـدَانِ عَـارُ[٣]

عيون حيارى

لما بلغ أبو الطيب إلى بسيطة رأى بعض عبيده ثوراً فقال: هذه منارة الجامع، ورأى آخر نعامة فقال: وهذه نخلة؛ فضحك أبو الطيب وقال:

[المتقارب]

بُـسَـيْـطَـةُ مَـهْـلاً سُـقِـيـتِ الْـقِـطَـارَا
تَـرَكْـتِ عُـيُـونَ عَـبِـيـدِي حَـيَـارَى[٤]
فَـظَـنُّـوا الـنِّـعَـامَ عَـلَـيْـكِ الـنَّـخِـيـلَ
وَظَـنُّـوا الـصِّـوَارَ عَـلَـيْـكِ الـمَـنَـارَا[٥]

= وهذا يعني وحدة النسب بينهما، فضلاً عن الجوار، وللجار حق على جاره في الرعاية والحماية وتبادل المنافع. ويأمل الشاعر أن يكون الخير في ذراريهم وأولادهم فيكونون جنداً وخولاً لأولاده وأحفاده؛ فالمهار من الخيول الجيّدة سوف تكون كباراً يُعتمد عليها.

(١) و (٢) أبرّ: أكثر إحساناً. عُقَّ: عُصي. البوار: الدمار. يُخاطب الشاعر ممدوحه مسترحماً مستنجداً بعفوه؛ إنه أكثر برًّا بالقوم وقد أخطأوا، فالعفو والصفح جزاء لمن أساء أعلى مستويات المغفرة، رغم أنهم يستحقون الهلاك، وقد قدر عليهم فأذلّهم، ومن قدر ولم يصدّق أنه انتصر على عدوّه تملّكه الغرور ونفخ فيه روح الانتقام فنكّل وشرّد بعدوّه. ولكن الأمير أقدر على العفو والصفح، وذلك أعلى مقامات الصفح والحلم.

(٣) يختم الشاعر قصيدته بمعادلة أن قدرة الأرباب العظام حقّ لهم لا عيب فيها إذا غفروا لعبيدهم ذلاتهم، ولا يعتبر ذلك عاراً في نظرهم.

(٤) و (٥) بُسيطة: موضع قرب الكوفة. لقد انتهت رحلة العذاب وعاد الشاعر إلى موطنه، وبسيطة أول محطة واجهته من معالم بلده، فخاطبها متمنياً لها الخير العميم وفيض =